مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (4)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (4) 2011

# قصيدة القناع في ديوان عبد العزيز المقالح

**الدكتور خالد عمر يسير***

**(تاريخ الإيداع 27 / 6 / 2011. قبل للنشر في 11 / 10 / 2011)**

## □ ملخّص □

القناع . mask . في أبسط معانيه وسيلة يتعامل الشاعر بوساطتها مع التراث، فيستدعي شخصيات تراثية متنوعة، وقد درس البحث استخدام المقالح لأقنعته في "ديوان عبد العزيز المقالح" فقط، ليكون ذلك نموذجاً لأشعاره جميعها التي استخدم فيها القناع.

لقد تنوعت أقنعة الشاعر بين التراثية . غالباً . ، والمعاصرة . نادراً . ، وغلب عليها الشخصيات التراثية اليمنية، مثل قناع "وضاح اليمن" ، أما من حيث المضمون الذي حملته شخصيات القناع، فقد برز الموضوع السياسي اليمني أيضاً.

وتناول البحث البنيات الفنية . الصورة، والموسيقا، واللغة . تناولاً أظهر فيه استخدام الشاعر لها، وجمالياتها، وقد انطلق منهاج الدراسة من النص قراءة وتحليلاً بغية الوصول إلى أغراضه، وجمالياته، وقد اقتضى الأمر أحياناً المقارنة مع عدد من الشعراء الذين استخدموا القناع.

وأظهر البحث غلبة الموضوع الوطني على غيره من الموضوعات، وهذا يؤدي إلى أن الموضوع الوطني اليمني يسيطر على فكر الشاعر، وبيّن أن عالم المقالح الشعري يسهل دخوله بأدوات بحثيّة غير معقدة أيضا ، إذ تتكشف أبعاد النص من القراءة الأولى ، ودون أن يحتاج إلى إجهاد فكره باحثا عن أغراضه ، ودون تبني منهج نقدي ما ، الذي يتطلب أدوات تلازمه ، إنه السهل الممتنع .

**الكلمات المفتاحيّة:** القناع – الصّورة الإشارية –التنوع – التناوب – التدوير– التناص.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة تشرين.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (33) العدد (4)2011
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (33) No. (4) 2011

# The Mask in Abed AL-Aziz AL-Makaleh's Poetry

**Dr. Khaled Omar Yaseer***

**(Received 27 / 6 / 2011. Accepted 11 / 10 / 2011)**

## □ ABSTRACT □

In its simplest terms, the mask is considered a means by which the poet deals with tradition. The means of the mask enables the poet to implement various traditional characters. This research studies the poet's usage of the mask in Abed AL-Aziz' collection only, and this is a model for all his poems in which he used the mask. The poet's masks vary between what is mostly traditional and what is rarely modern and the traditional, dominated by traditional Yemeni characters like Waddah Al-Yaman. As for the content embodied by the mask characters, the Yemeni political topic also comes into play. This research deals with artistic structures, such as image, music, and language, focusing on the way in which the poet uses the above-mentioned concepts and how he explains and shows their beauty. The methodology adopted in this research relies on reading and analyzing the text in order to explain its purposes and beauty. Sometimes this research includes a comparative study of several poets who used the mask. This study sheds light on the dominance of traditional Yemeni characters in addition to the domination of the national Yemeni theme, leading to the conclusion that the traditional theme controls the poet's thoughts, showing that Al Makaleh's world of poetry is easy to deal with using simple methodological means.

**Keywords:** Mask, Allusion, Metrical variation, Alternation, Run on verses, Intertextuality

* **Associate Professor , Arabic Department , Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria..**

**مقدمة:**

القناع ( mask ): مصطلح مسرحي أساساً، يعود استخدامه إلى زمن قديم جداً، استعان به الإنسان البدائي؛ ليعبر من خلاله عن مظاهر صلته بالآلهة وبالطبيعة في طقوسه الدينية، يتحد فيه الشاعر المعاصر بالشخصية التراثية . غالباً ؛ ليضفي على صوته نبرة موضوعية شبه محايدة، تبتعد به عن حدود الغنائية والرومانسية التي تردّى أكثر شعرنا العربي فيها، ويسيطر على قصيدة القناع ضمير المتكلم . أنا . الذي يعود إلى الشخصية التراثية، على نحو يتوازن فيه صوتا الماضي والحاضر.

وقد شغل القناع مساحة واسعة في شعرنا العربي المعاصر بدءاً من خمسينيات القرن الماضي، وفي النقد الأدبي بعد ذلك بحوالي عقد من الزمن. ويعد استخدام القناع شكلاً من أشكال التواصل مع التراث، فهو استدعاء لشخصية تراثية ما، فقد استطاع الشعراء "أن يطوروا أسلوب التعامل مع الشخصية التراثية في شعرهم، من إيرادها بصيغة التشبيه، أو الإشارة الرمزية إليها إلى صيغة أوسع حين اكتشفوا أنّ باستطاعتهم تقديمها على نحو جديد يجعلهم قادرين على الاختفاء وراء صورتها التاريخية؛ ليحمّلوها أفكارهم ومواقفهم المعاصرة"(1). ويحمل في طياته نزعة تجديدية تمثلها شعراؤنا من ت.س.إليوت، ومن غيره من شعراء الغرب.

اتّخذ الشاعر العربي المعاصر القناع وسيلة تعبيرية في بناء القصيدة نتيجة لدوافع فنية، تتمثل في الحد من النزعة الغنائية، ومن المباشرة؛ وذلك بما يضفيه عليها من موضوعية من خلال إقصاء شخصية الشاعر عنها، وحلول الشخصية التراثية مكانها: "إن الشاعر عندما يخلق شخصية تراثية أو يستدعيها تصبح تلك الشخصية مستقر جميع الحركات والأفعال، إنه يختبئ وراءها فتصبح بمثابة نافذة يطل من خلالها على العالم، وبذلك يكون قد حقق الابتعاد التخيلي . RECULDEFICTION . الكافي الذي يمكنه من مباشرة التجربة"(2).

وتقف الدوافع السياسية والاجتماعية إلى جانب الفنية في دفع الشاعر المعاصر للتعامل مع القناع: "فقد كانت الظروف السياسية، والاجتماعية الخانقة التي مرت بها أمتنا العربية سبباً من أسباب اتجاه شعرائنا المعاصرين إلى استخدام الشخصيات التراثية في شعرهم؛ ليستطيعوا أن يستتروا وراءها من بطش السلطة، إلى جانب ما يحققه هذا الاستخدام من غنى فني" (3).

وتلعب الدرامية دوراً بارزاً في هذا المجال؛ ذلك أن مقياس النجاح والتوفيق في استلهام التراث، هو أن يختار الكاتب عملاً "جوهره الصراع الإنساني الذي لا يتغير بتغير الزمان أو المكان"(4). ويشكل القناع نموذجاً فنياً للبطل النموذجي، فكل قناع نموذج يحمل رؤيا الشاعر" مثل لوركا وجيفارا... وجميلة بوحيرد، وراشد حسين و... الخ، وذلك علاوة على بعض الشخصيات التراثية التاريخية، مثل: الحسين بن علي، وموسى بن نصير، والمتنبي... الخ، ولا ريب أن هذا يعطي تلك النماذج الفنية نوعاً من الألفة، حيث يتعامل المتلقي مع شخصية إنسانية حية، فضلاً عن كونها نموذجاً فنياً" (5).

إن القناع شخصية تراثية . غالباً . يستعير شاعرنا المعاصر لسانها؛ ليعبر به عن آرائه وأفكاره بطريقة غير مباشرة هرباً من بطش السلطة السياسية في وطننا العربي.

وإن إحساس الإنسان بالاغتراب في مجتمعنا العربي المعاصر دفعه للعودة إلى الماضي بحثاً عن ملاذ آمن يعوضه عن قلق الحاضر: "إن استحضار التراث كمواقف أو أشخاص إنما يعني أننا نستحضر فيهم طموحنا إلى الكفاح الإنساني ضد الاغتراب والقهر، ونستحضر فيهم طموحنا إلى الحضور التاريخي ضد الغياب التاريخي الذي تحاصرنا به حضارة التكنولوجيا الرأسمالية المعاصرة، وفكرها البرجوازي". (6) إنّ العودة إلى الماضي عبر شخصية

القناع تمثل نوعاً من التواصل الإنساني الاجتماعي في مواجهة القهر، والظلم منذ القديم حتى يومنا هذا، وتمثلً نوعاً من العودة إلى براءة الماضي، وعفويته،وصدقه أيضا؛ مما يخلق نوعاً من التوازن في الحياة النفسية، توازن قائم على الارتماء في أحضان الماضي بعفويته ، وصدقه ، وبراءته ، وبين شحن النفس بإيحاءات الماضي ، وما نتج عنها في الحاضر .

ومن أبرز الشعراء الذين استخدموا القناع عبد الوهاب البياتي، وبدر شاكر السّياب، وأدونيس، وممدوح عدوان، وصلاح عبد الصبور، وعز الدين المناصرة و آخرون كثر، من بينهم شاعرنا عبد العزيز المقالح الذي لجأ إلى استخدامه في شعره بدوافع مشابهة لما عند الآخرين.

## أهمية البحث وأهدافه:

تبدو أهمية البحث في محاولته إلقاء الضوء على البنيات الدلالية ، وعلى البنيات الدالة في قصيدة القناع –عند المقالح– من جهة ، وربطها بالظروف الاجتماعية المحيطة به من جهة ثانية . وتبدوا هذه الأهمية في دراسة استخدام المقالح للقناع في شعره الذي لم يدرس– في حدود اطلاعي–، وجعل هذه الدراسة نموذجا لاستخدامه هذه التقنية في أشعاره كلها.

## منهج البحث:

انطلق منهج الدراسة من النص قراءة وتحليلا بغية الوصول إلى أغراضه وجمالياته ، وهو منهج قائم على تذوّق النص الشعري منجهة ، وعلى تحليله فنيامن جهة ثانية وقد حاول ربط شعر المقالح ببيئته مستفيدا من المنهج الاجتماعي، و اقتضى أحيانا أسلوب المقارنة بين استخدام الشاعر للقناع ، وبين استخدام غيره من الشعراء لهذه التقنية بغية الوصول إلى السمات الخاصة للقناع عند الشاعر المقالح.

## البنيات الدلالية:

تتكون البنيات الدلالية للنص الشعري من الأغراض التي بثها الشاعر في نصه، كأن تكون سياسية أو اجتماعية، أو أغراضا تعبر عن حزن الإنسان وقلقه، أو غير ذلك من الأغراض الشعرية المعروفة.

إن الاستبداد في اليمن، والظلم، والقهر دفع الشاعر، لأن يتقنع بقناع سيف بن ذي يزن (7)؛ ليعبّر من خلاله عن حزنه العميق:

**في هذه المدينة**
**أنا حزين**
**ألا تحس قريتي**
**بأنها معي حزينة**

ويجعل من السلطان رمزاً للسياسي الطاغية ومن أعوانه ذئابا لا يبالون بدموع الناس وبحرمانهم من حرياتهم:

**بكت رفيقتي**
**لكن صاحب الجلالة السلطان**
**قيصر أرض الروم**

**لا يستطيب دمعها**

**ولا يرى صراخي المكتوم**

**يمسكني عن التحليق**

**يسد أمامي الطريق**

**يطلق حول سجني الذئاب**

**ويوصد الأبواب**

**سئمت وحدتي**

**قرأت في سجونه ما حفرت دموع النازح الضليل**

**من أشعار.**

هذه الإشارة إلى امرئ القيس . الضليل . تشير في طياتها إلى قدم الظلم، وكأنه من أيام امرئ القيس حتى يومنا هذا. وكأن عذاب الإنسانية مستمر عبر التاريخ، وقد آن الأوان، لأن يزول:

**وكل ليلة**

**على سماء**

**أرض الروم**

**أقرأ حين ترحل الغيوم**

**حكاية الرجال والمقاومة**

ويعبر المقالح عبر قناع . سليمان الحلبي . الذي قتل كليبر قائد القوات الفرنسية عام 1800 في مصر. يعبر على لسانه عن أحزان الأمة العربية بسبب ظلم قادتها الذين لا يبالون بمآسي شعوبهم، وربما هم من يصنعونها، يقول الشاعر في قصيدة "الرحلة الثانية لسليمان الحلبي" (8):

**في عمَّان آلاف الحرائق**

**غرقت سيناء، وجه القدس دامٍ، إخوتي فوق المشانق**

**جثتي في "حلب" العمياء**

**في " الفسطاط رأسي " ودمي نهر الفرات**

**وبلادي أمة منزوعة العينين في سوق الغزاة (9).**

ويتداخل الموضوع السياسي مع الاجتماعي . أحياناً . كما في قصيدة "من ذكريات عهد النازي" (10) التي يستعير فيها لسان مظلوم . وما أكثرهم . يخاطب مخبري السلطة متحدياً إياهم:

**حدِّق إليَّ بكل عينيك التهمني بالنظر**

**سجِّل حماقاتي سخافاتي**

**وسجِّل بالصور.... ماذا أفكر ؟**

**كيف أمشي**

**أين أعتاد السهر**

**..... يا وغد قل ماذا تريد ؟**

**وما يريد (الفوهرر).**

ويبيّن القناع – وهو – هنا – الشخصية المجهولة التي استعار لسانها الشاعر– يبيِّن المفارقة بين الدول المتقدمة التي رحلت إلى القمر، وبيننا نحن الذين يعبث بنا الطاغي:

**هجر الرجال الأرض واحتلوا مساحات القمر**

**ويداه تطوينا وتنشرنا**

**وتعبث بالبشر.... لو يا كلبهم قد كنت ممن يفهمون**

**ما كنت خلفي ترصد الأنفاس تجتر الظنون.**

وتبدو الصورة أكثر قتامة وأفظع وحشية في قصيدة "من حوليات يوسف في السجن" (11) التي يبين فيها القناع . يوسف . حالة اليمن المزرية التي يضطر فيها الفقير إلى أن يبيع ابنه برغيف خبز:

"**حينما ابتاعني الحزن من وطني**

**واشترى وجهي الخوف**

**كانت بلادي تسافر في القحط**

**تنتظر المطر الخبز**

**لست الوحيد الذي باعه أهله بدراهم معدودة**

**كم فتى باعه أهله برغيف**

**وكم فتاة بحفنة قمح.... تسلَّمها المشترون وغابوا مع**

**الليل بعد رحيل النهار**".

ربَّما في هذا القول شيء من المبالغة، أو شيء لا يتقبله العقل، ولكنها مبالغة مقبولة فنياً، و تاريخياً، ومعبرة في الوقت نفسه عن غرض الشاعر ولا سيما عندما نعرف أن هذه القصيدة تعود إلى عام 1976 بداية استقلال اليمن عن الاستعمار الإنكليزي.

وتعود إلى الفترة الزمنية نفسها –67– قصيدة "رسالة عامل" (12) التي يصور فيها على لسان العامل – القناع– واقع الفقر ممتزجاً بالأمل الكبير في قلب هذا العامل الذي راح يتغنى ببزوغ شمس الخلاص في يوم الاستقلال:

**منتصف النهار**

**ما زال كفِّي خاوياً**

**لم أتسلَّم بعد كسرة الإفطار**

**لكنني لست ككل يوم**

**أحلم بالرغيف عند الصحو عند النوم**

**في لحظة قتلت معنى الجوع في دمي**

**أصبحت أغنى أغنياء العصر.... فصرت لا أعرف معنى الجوع والخواء**

**وقامتي تمتد في الفضاء**

**تضرب في التخوم**

**تقبل الشمس**

**تعانق النجوم.**

ويشغل قناع وضاح اليمن مساحة واسعة في شعر المقالح، يحمله هموم اليمن وآمالها، ففي قصيدة "عودة وضاح اليمن" (13) النثرية يصور الانبعاث الحضاري لليمن الذي يرمز إليه بمحبوبته روضة المجذومة التي يعمل مستميتاً من أجل شفائها: " **قيل لي إن عرّاف وادي الجماجم أدركها مرة فتنبأ أن سوف تشفى، وتنهض من دائها حين تكشف عن ساقها، ثم ترقص عارية فوق صرح الدماء وتغسل عار التسول والقهر بالنار، ثم تقدم من لحم أعدائها وجبة للوحوش الأليفة والطير، تقطع من عضلات الخليفة والحرس الملكي شواء تقدمه للجياع من الشعب في حفلة البرء.. لكن متى؟ والخليفة مات، وما دلهم غير شعري على موته، و النوارس والبحر مسجونة في القماقم، والشمس مجذومة والنهار العظيم**".

## البنيات الدالة:

تشكل البنيات الدالة في النص الشعري من صور وموسيقا ولغة ، وغيرها مرتكزات أساسية في النص الشعري ، وهي التي تساعدنا في كشف أغواره، و يرى د.نعيم اليافي أن النقد الأسطوري يرد العمل الأدبي إلى جذوره الاجتماعية والحضارية، وأن مكتشفات علم النفس تؤثر في الدراسات النقدية مؤسسة بذلك ركائز نفسية، ومن هنا راحت الدراسات النقدية الحديثة ترد الصورة إلى ماله علاقة بنفسية الشاعر، وإلى ماله علاقة بالنماذج العليا البدئية (14).

فصور القصيدة السابقة الذكر "من يوميات سيف بن ذي يزن في بلاد الروم" تعكس الحزن العميق في نفس الشاعر، ففيها: "أنا حزين" ، "وبكت رفيقتي" ، "ولا يرى صراخي المكتوم"، والأمثلة كثيرة فيها ،تؤكد ما ذهب البحث إليه، وإن حزن الشاعر لا يقتصر على ما يجري في اليمن، وإنما يشمل ما يجري في الوطن العربي أيضاً، وهذا واضح في قصيدته السالفة الذكر –الرحلة الثانية لسليمان الحلبي– التي تعكس صور النص فيها حالة الشاعر الحزين، فهي أشبه بلوحة كبيرة تمتد على ساحة الوطن العربي نرى فيها الحرائق في عمّان، وسيناء الغريقة، ووجه القدس الدامي و....

وتبدو الصورة الإشارية (15) ذات صلة وثيقة بقصيدة القناع؛ لأنها في الأساس تقوم على التأثر بالتراث، ففي قوله:

**بكت رفيقتي**
**لكن صاحب الجلالة السلطان**
**قيصر أرض الروم**
**لا يستطيب دمعها**
**ولا يرى صراخي المكتوم...**

تناص مع قصيدة امرئ القيس التي مطلعها:

**بكى صاحبي لمَّا رأى الدرب دونه وأيقن أنَّا لا حقـان بقيـصرا**
**فقلت لـه لا تـبـك عينك إنـــما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا** (16)

وقد حلت الرفيقة في تجربة المقالح بدل الصاحب عند امرئ القيس؛ ربما لأن دموع الأنثى أكثر تأثيراً في الآخرين من دموع الرجل، وربما لأسباب أخرى لا داعي للخوض فيها هنا.

ويستوحي الشاعر بعض النصوص القرآنية، فيتعامل بحرية معها، فبعض الصور الشعرية المستمدة من القرآن تغيرت دلالتها عند المقالح تغييراً يلائم التجربة المعاصرة، من ذلك قصيدته "مقتطفات من خطاب نوح بعد الطوفان" :(17)

**أنفقت عمري أجمع الأعواد والأخشاب**
**قطعت وجه الليل والنهار**
**أقرأ في الكتاب**
**أشدُّ مسماراً إلى مسمار**
**لكن صوتي ضاع في الرياح**
**سفينتي تاهت بها الأمواج**
**فأبحرت خالية إلا من الأحزان و الملاح.**

النص القرآني يظهر أن المؤمنين ركبوا السفينة معه، ونجوا من الطوفان: " قيل: يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك، وعلى أمم ممن معك، وأمم سنمتِّعهم، ثم يمسهم منا عذاب أليم" (18). يشير النص الشعري الذي بين أيدينا إلى النص القرآني، ولكنه معارض له في دلالته، بما يناسب التجربة الشعرية المعاصرة. فإذا كان المؤمنون –في القرآن– قد ركبوا السفينة مع نوح، فإن الشاعر ركب سفينته وحده دالاً على شعوره بالوحدة والاغتراب.

ومن ذلك قصيدته "من حوليات يوسف في السجن" التي سبق ذكرها، والتي يظهر فيها يوسف المعاصر قائلاً:

**حصحص الحق**
**هل تستطيع القيود على شفتي أن تبلغها. إني قد**
**قبلت الشروط... من الآن سوف**
**أراودها أنا عن نفسها**
**وأشق القميص بأنفاسي الداميات الأظافر.**

قلبت الصورة وأصبحت مغايرة لما هي عليه في القرآن الكريم الذي أظهر يوسف رافضاً مراودتها ومستعيذاً بربه من أجل إخراجه من هذا الموقف: " قال رب السجن: أحب إلي مما يدعونني إليه، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهليين" (19).

وإذا ما انتقل الحديث إلى الموسيقا في قصيدة القناع فإن القارئ لها يلاحظ أن هناك ظواهر مشتركة بينها وبين الشعر العربي الحديث، منها التناوب والتنوع والتدوير(20)، أما عند المقالح فقد غاب عنها تقريباً ظاهرتا التنوع و التناوب،* وبرزت ظاهرة التدوير في شعره، وهي ظاهرة موسيقية في الشعر العربي القديم، تتمثل في انتهاء الشطر الأول دون أن تنتهي التفعيلة، فيتم استكمالها في الشطر الثاني، واستمرت هذه الظاهرة في شعرنا العربي الحديث، إذ ينتهي السطر ولا تنتهي التفعيلة، فتستكمل في السطر الثاني ومن أمثلته قوله:

**بكيت //5/ متفعِ**
**شدَّني العذاب والألم /5–//5//5–//5//5–لُن–متفعلن– متفعلن**
**حين رأيتكم رأيت السفح والقمم**
**في قبضة الإعصار** (21).

فقد انتهى السطر الأول /بكيت/ واستكمل تفعيلته –متفعلن– في السطر الثاني. وهذا كثير في شعره.

وقد أخذ التدوير أشكالاً أخرى كأن تتتابع التفعيلات في أسطر شعرية كما في أسلوب القص:

**قلت لكم من قبل أن يثور ماء البحر**
**قبل أن تعربد الأمواج**
**وقبل أن يغيب وجه الأرض**
**قلت: الداء والدواء**
**لم تحفلوا..**
**لم تسمعوا..** (22).

ومن أسباب التدوير استغراق الشاعر في موقف شعوري واحد، فإن ذلك يقتضي الاستمرار في المقطع، حتى انتهاء الموقف الشعوري، ومن أمثلته قول الشاعر:

**حدِّق إليَّ بكل عينيك التهمني بالنظر**
**سجِّل حماقاتي سخافاتي**
**وسجِّل بالصور**
**كم مرة أمضي إلى الحمام**
**كم أمضي لحاجات أخر؟**
**ماذا أفكر؟**
**كيف أمشي؟**
**أين أعتاد السهر**
**هل أقرأ الكتب الحديثة**
**هل أجادل في البقر**
**يا وغد.. قل ماذا تريد ؟**
**قل ماذا يريد الفوهرر** (23).

يتحدث المقالح بلسان شخصية عاشت زمن الفوهرر هتلر –رمز الطاغية– كانت مراقبة من قبل الوغد –رمز لأعوان السلطة الطاغية– يتحدث القناع، تملؤه مشاعر الحنق والغضب على الأوغاد، ومشاعر السخرية والتحدي. تطلب هذا الموقف الشعوري الغاضب من القارئ أن يستمر في القراءة من البداية حتى قوله: /قل ماذا يريد الفوهرر/؛ لأن الحالة الشعورية واحدة، ولأنه إذا ما توقف القارئ عند أي جملة، فإن توقفه يؤدي إلى انقطاع في هذا الموقف الشعوري الواحد المتتابع.

ومن أسباب التدوير استغراق المقطع الشعري لحدث ما، وهنا يدور المقطع حول حدث واحد، كما جرى في قصيدته "الرحلة الثانية لسليمان الحلبي" (24)، فالمقطع الرابع منها يدور حول وقوف القناع في المحكمة مدافعاً عن نفسه:

"**يا قضاتي...**
**تلك ثاني رحلة فاتهموني إن أردتم**
**حاكموني إن أردتم**
**اقتلوني إن قدرتم**

**إنما نفذت حكم الله في المدعو "كليبر"**
**أسمعتم حين ألفيت عليه نصل خنجر**
**كيف صليت..**
**ذكرت الله**
**قلت الله أكبر / الله أكبر.**

ومن الظواهر الموسيقية الأخرى المألوفة في ديوانه ظاهرتا التنويع في عدد التفعيلات في الأسطر الشعرية، والتنويع في القوافي، وهذا واضح في قصائد القناع كلها التي تناولها البحث ؛ إذ يظهر التنوُّع في عدد تفعيلاتها، وفي أحرف قوافيها ، وواضح في غيرها من قصائد الديوان.

ويميل المقالح إلى استخدام لغة ذات دلالة واضحة، يسهل الوصول إلى أغراضها، ربما ساعد على ذلك قلة اعتماده على اللغة الرمزية، بل ربما كان تقديمه لرمز بلغة قريبة المنال عاملاً مهماً في ذلك.

وأول ما يظهر في القصيدة عنوانها، وإن الدارس للعنوان في قصيدة القناع في شعرنا العربي يميز بين ثلاثة أنواع من العناوين: الأول يدل على شخصية القناع، مثل "صقر قريش" لأدونيس، و "عذاب الحلاج" للبياتي، والثاني لا يدل على شخصية القناع، والثالث عنوان ذو دلالة عامة (25).

إن العنوان عند المقالح يدل على شخصية القناع المستدعاة –غالباً– لقد استدعى شخصية سيف بن ذي يزن في ثلاث قصائد: "من يوميات سيف بن ذي يزن في بلاد الروم" ، و "من يوميات سيف بن ذي يزن في بلاد الفرس"، و "سيف بن ذي يزن وحوار مع أبي الهول" ، فالعنوان –هنا– يشير مباشرة إلى شخصية القناع، ويدل عليها دلالة واضحة ونرى ذلك في قصائد أخرى (26). وأحياناً يحمل العنوان دلالة عامة تكون الشخصية فيه ليست تاريخية، أو معاصرة، وإنما يستعير الشاعر –هنا– لسانها، وهي ذات صلة بالموضوع الذي يحدثنا عنه الشاعر، مثل: العامل، و الفلاح، والمعذَّب و... وهذا واضح في قصيدة "حكاية مصلوب" (27) التي يشير العنوان فيها إشارة عامة إلى رجل مصلوب، إلى رجل مظلوم، يضحِّي في سبيل وطنه، ولا يبالي به أهلوه.أما النوع الثالث الذي لا يدل على شخصية القناع فلم أعثر عليه في الديوان الذي بين أيدينا .

يلاحظ الدارس للّغة في قصيدة القناع في شعرنا العربي الحديث أن لغتها ذات مستويين: مستوى تراثي تتناص فيه مع لغة التراث، ومستوى معاصر تشكل جزءاً ملتحماً به (28)، ويبدو ذلك واضحاً في قصائد القناع عند المقالح ففي قصيدته: "بكائية ثور في حلبة الصراع" و "حكاية مصلوب" (29) تبدو اللغة فيهما ذات صلة شديدة بلغة العصر.

نقتطف من الأولى قوله :

**يا فاقدي الشعور**
**لا أحداً من بينكم يحتجُّ أو يثور**
**لا أحداً يهزُّه خواري الكسير**
**حبي...**
**وعمري الصغير**
**لأنكم بلا شعور**
**فصفقوا للقاتل الجسور**
**وهللوا لمصرع الضمير.**

ومن الثانية قوله:

**أحبكم إلى نفسي هو الجلاد**

**هذا الذي جاء بكم وجاء بي إلى الميدان**

**أوقفني أمامكم عريان**

**لتشهدوا نهايتي**

**لتسمعوا حكايتي...**

أما قصيدة القناع التي تجعل من الشخصية التراثية قناعاً لها، فإن التناص يظهر فيها على مستوى الموقف الداخلي –تجربة الشاعرين– ، وعلى مستوى اللغة، ويمكن التمثيل على ذلك بقصيدتين هما: "من يوميات سيف بن ذي يزن في بلاد الروم" ، و"من حوليات يوسف في السجن" (30). يقول في الأولى متماهياً مع امرئ القيس:

**بكيت للصحراء.. للخيام ناجيت**

**جارتي غريبة الديار**

**شربت خمرة عتيقة الشجون والآلام**

**ولم أزل في الأسر لا وجهي ملكته ولا الكلام**

**غرقت**

**ضعت في الزحام.**

فألفاظ مثل: /الصحراء، والخيام/ ذات صلة وثيقة بالتراث بصورة عامة، وتراكيب مثل: /ناجيت جارتي غريبة الديار/ ذات صلة وثيقة بشعر امرئ القيس في بيتيه المشهورين :

**أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب**

**أجارتنا إنّا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب (31)**

ويقول في الثانية:

**حين جاءت إلى الجب قافلة**

**ومن الجب أنقذني أهلها**

**ورأيت السماء ضحكت. كأني من رحم الأرض جئت**

**وها أنذا الآن في الجب**

**.... لم تكن قريتي قبل مصرعها**

**لتصدق أن " العزيز" خصي يتاجر في عرض أبنائها**

**والعزيزة في القصر تنهش في عرضه، وتتاجر،**

**وتزني بأولاده، واحداً واحداً**

**وبأحفاده،**

**وبالعساكر،**

**بالغرباء المقيمين والعابرين.**

إن ما قيل في القصيدة السابقة يقال هنا، حتى إنه يأخذ مفردات بعينها ذكرت في القرآن الكريم، مثل: /الجب، والعزيز/.

وتتميز قصيدة القناع بجعل السرد عنصراً بارزاً في بنائها، وهو عنصر قصصي يتناسب مع استدعاء الشخصيات التراثية، وهذا واضح في القصيدتين السابقتين، وفي قصائد أخرى استدعت شخصيات تراثية.

إن استخدام لغة التراث، وأسلوب القص يغني قصيدة القناع من حيث إنها لغة تناسب أسلوب الإخبار عن الماضي – في السرد– ، ومن حيث إنها لغة تجعلنا نعيش الماضي، فتتوحد التجربة الإنسانية ماضياً وحاضراً.

## خاتمة:

وهكذا يبدو أن الموضوع السياسي هو الذي سيطر على قصيدة القناع عند المقالح، وظهر أكثر من غيره، وقد شغلت الشخصيات التراثية اليمنية الحيز الأكبر عنده . سيف بن ذي يزن، ووضاح اليمن، وعمارة اليمني . ، وقد وظفت هذه الشخصيات . الأقنعة . من أجل خدمة الموضوع السياسي اليمني. ويلاحظ أيضاً ندرة الشخصيات المعاصرة في أقنعة المقالح مثل شخصية سليمان الحلبي.

وما يميز قصيدة القناع عند شاعرنا هو غلبة الشخصيات التراثية اليمنية المستدعاة أقنعة وتوظيفها في قضايا اليمن، مما يدل على سيطرة الهم الوطني على تفكيره، وما يميزها كذلك سهولة الدخول إلى عالمه الشعري، ربما ينطبق عليه قضية " السهل الممتنع".

## الهوامش:

1. د.حداد، علي، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية، آفاق عربية، العراق، بغداد، 1986 ط 1، ص 147.
2. اليوسفي، محمد لطفي، تجليات في بنية الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر، تونس، 1985 ، ص 138.
3. د.زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 42.
4. حمدي، ممدوح، الاستلهامات الحديثة للأدب القديم، الأقلام، العراق، ع 12 ، 1976 ، ص 19.
5. كليب، سعد الدين، القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث 1950 . 1975 ، دراسة أعدت لنيل درجة الدكتوراه، إشراف د.فؤاد المرعي، جامعة حلب 1989 ، ص 252.
6. د.الكبيسي، طراد، في الشعر العراقي الجديد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، دون طبعة ودون تاريخ، ص 31.
7. ديوان عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، ط 3 ، 1983 ، ص 317
8. الديوان، ص 390.
9. نرى الموضوع السياسي في قصائد كثيرة، منها "خطاب نوح"، و"بكائية ثور في حلبة الصراع "، و"عودة وضاح اليمن" الصفحات: 33 ،و 68، و، 74 ،و 533 . الديوان.
10. الديوان، ص 39.
11. الديوان ص 546.
12. الديوان ص 43.
13. الديوان ص 533.
14. ينظر: د.اليافي، نعيم، أوهاج الحداثة في القصيدة العربية الحديثة، ص 219.
15. ينظر: المرجع السابق، ص 53 . 354.
16. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف المصرية، ط 5 ، دون تاريخ.
17. الديوان، ص 33.
18. . قرآن كريم، هود 48.
19. قرآن كريم، يوسف، 33.
20. ينظر د.يسير، خالد، القناع في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، 1997 ، ص 160.

* ظهر التناوب "وهو استخدام التفعيلة . السطر الشعري . إلى جانب البيت الشعري" في قصيدة "تقاسيم على قيثارة مالك بن الريب"، الديوان، ص 623.

21. الديوان، ص 34.
22. الديوان، ص 33، وينظر: قصيدة "حكاية مصلوب"، الديوان ص 74. ففيها مقطعان مدوران؛ وذلك أن الشاعر استخدم أسلوب القص فيهما.
23. الديوان، ص 39. وينظر: الديوان، ص 317 ،و 319 ،و 321 ،و 324 ،و 327 ،و 546.
24. الديوان، ص 390. وينظر: الديوان ص 39 و 547.
25. د.يسير، خالد، القناع في الشعر العربي المعاصر، ص 184.

26. ينظر الديوان، القصائد التالية : "مقتطفات من خطاب نوح بعد الطوفان"، ص 33 ، و"الرحلة الثانية لسليمان الحلبي" ص 390 ، و"عودة وضاح اليمن" ، ص 533، و"من حوليات يوسف في السجن" ص 546 ،و"أحزان الليلة الأخيرة في حياة عمارة اليمني" ص 559 ، و"تقاسيم على قيثارة مالك بن الريب" ص 623.
27. الديوان، ص 74. وهناك قصائد أخرى مثل: "بكائية ثور في حلبة الصراع" ، ص 68 ، و"من ذكريات عهد النازي"، ص 39 ، و"رسالة عامل في ميناء عدن يوم الاستقلال"، ص 43.
28. د.يسير، خالد، القناع في الشعر العربي المعاصر، ص 188.
29. الديوان، ص 68 و 74.
30. الديوان، ص 317 و 546.
31. ديوان امرئ القيس، ص99

**المراجع:**


1. القرآن الكريم.
2. ديوان عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، طبعة 3 ، 1983.
3. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف المصرية، ط 5 دون تاريخ.
4. د.حداد، علي، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية، آفاق عربية، العراق، بغداد، ط 1، 1968.
5. د.زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، طرابلس، ط1، 1978.
6. د.الكبيسي، طراد، في الشعر العراقي الجديد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، دون طبعة، ودون تاريخ.
7. د.كليب، سعد الدين، القيم الجمالية في الشعر العربي الحديث 1950. 1975 رسالة دكتوراه، إشراف د.فؤاد المرعي، جامعة حلب، 1989.
8. د.اليافي، نعيم، أوهاج الحداثة في القصيدة العربية الحديثة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1993.
9. د.يسير، خالد، القناع في الشعر العربي المعاصر"دراسة نقدية" ، رسالة دكتوراه، إشراف د.أحمد زياد محبك، جامعة تشرين 1997.
10. اليوسفي، محمد لطفي، تجليات في بنية الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر، تونس 1985.
11. حمدي، ممدوح، الاستلهامات الحديثة للأدب القديم، الأقلام، العراق، عدد 12، 1976.